الفقراء ويلبس لباس التقوى وعالم الله بحربه حيث هو تم ان هكذا تنسك
قلت هذا رعونات الطبع هوى الآن تمت تحنك لان عذرك دليل على
فساد باطنك ومن تلبيسه عليهم ان يحسن لهم از وراء الوعاظ ويمنعهم من الحضور
عندهم فيقولون من هؤلاء قصاص ومراد الشيطان الا يحضرون في موضع يلين فيه
القلب ويخشع والقصاص لا يدرسون من حيث هذا الاسم لان الله قال نحن
نقص عليك احسن القصص وقال فاقصص القصص وانما ذم القصاص لان الغالب
منهم الاقتناع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد ثم غالبهم يخلط فيما يورده
وربما اعتمد على ما اكثره محال فاما اذا كان القصص ودون ذكر صدقا ويوجب وعظا
فهو ممدوح وقد كان احمد بن حنبل يقول ما اخرج الناس الى قاص صدوق وقضانا
يرحمك عنا ذكر تلبيسه على الوعاظ والقصاص

كان الوعاظ في قديم الزمان علماء فقهاء فقد حضر ابن عمر مجلس عبيد بن عمير
وكان عمر بن عبد العزيز يحضر مجلس القصاص ثم خست هذه الصناعة فعوض بها الجهال
فبعد عنهم المميزون من الناس وتعلق بهم العوام فلنشاغلوا بالعلم واقبلوا
على القصص وما يعجب الجهلة وتنوعت البدع في هذا الفن وقد ذكرنا افاتهم في كتاب
القصاص والمذكرين الا انا نذكر ها هنا جملة فمن ذلك ان قوما منهم كانوا يضعون
احاديث الترغيب والترهيب ولبس عليهم ابليس بانا لا نقصد حث الناس
على الخير وكفهم عن الشر وهذا تغلط على الشريعة لانها عندهم على هذا الفعل منهم ناقصة

يحتاج الى تتمة ثم قد نسوا قوله عليه الصلوة والسلام من كذب على متعمدا
فليتبوء مقعده من النار ومن ذلك انهم اليلجوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب
فتوعوا فيه الكلام فتراهم ينشدون الاشعار الغزلية في العشق ويلبس عليهم ثانيا
مقصد الاشياء والى محبة الله تعالى ومعلوم ان عامة من يحضرهم العوام الذين
بواطنهم محشوة بحب الهوى فيفصل القاص ويفضل ومنهم من يظهر التواجد
والخشوع زيادة ما في قلبه وكثرة الجمع يوجب زيادة تعمل فسيح النفس بفضل
بكاء وخشوع فمن كان منهم كاذبا فقد خسر الآخرة ومن كان صادقا لم يسلم صدقه
من الرياء يخالطه ومنهم من يحرك الحركات التي يوقع بها على قراءة الالحان والالحان
والالحان التي قد اخرجوها اليوم مشابهة للغناء فهي الى التحريم اقرب منها الى
الكراهة فالقاري يطرب والقاص ينشد مع تعشيق بيده وايقاع برجليه فيشبه
المنكر ويوجب تحريك الطباع وتهييج النفوس وصياح الرجال والنساء ويهتز بعض
الشباب لما في النفوس من وفاق الهوى ثم يخرجون فيقولون كان المجلس
طيبا ويشير الى ما لا يجوز ومنهم من يجري في مثل تلك الحال التي شرحناها لكنه
ينشد اشعار نوح على الموتى ويصيف ما جرى لهم في البلى وبذ العزمة ومن مات
غريبا فيكثر بكاء النساء ويصير المكان كالمأتم وانما ينبغي ان يذكر الصبر على فقد
الاحباب لما يوجب الاجر ومنهم من يتكلم في دقايق الزهد ومحبة الحق سبحانه
فلبس عليه ابليس انك من جملة الموصوفين بذلك الم يقدر على الوصف

حتى عرفت ما يصف و سلكت الطريق وكشف هذا التلبيس ان الوصف علم
والسكون غير العلم ومنهم من يتكلم بالطاعات والشطح الخارج عن الشرع و
تشهد باشعار العشق وغرضه ان يكبر في المجلس الصياح ولو على كلام فاسد
وكم منهم يروق عبادة لا معنى لها واكثر كلامهم اليوم في موسى والجبل وزليخا
ويوسف ولا يكادون يذكرون الفرايض ولا ينهون عن ذنب فمن يوجه
صاحب الزنا ومستعمل الربا ويعرف المراة حق زوجها ويحفظ صلاتها
هولاء تركوا الشرع وراء ظهورهم ولهذا انفقت سلعتهم لان الحق ثقيل و
الباطل خفيف ومنهم من بحث على الزهد وقيام الليل ولا يبين للعامة المقصود
فربما اتاب الرجل منهم وانقطع الى زاوية او خرج الى جبل فتفسدت عايلة
لا شيء لهم ومنهم من يتكلم في الرجاء والطمع من غير ان يمتزج ذلك بما يوجب
الخوف والحذر فيريد الناس جراءة على المعاصي ثم يقوى ما ذكرته بميله الى الدنيا
من المراكب الفاخرة والملابس الفاخرة فيفسد القلوب بقوله وفعله فصل
وقد يكون الوعظ صادقا قاصدا للنصيحة الا ان منهم من هو بالرياسة في قلبه
مع الزمان فيجب ان يعظم وعلامته انه اذا ظهر واعظ بنوب عنه او يعينه
على الحق انكر ذلك ولو صح قصده لم يكن من يعين على جلايل المخلوقين فصل
ومن القصاص من يخلط في مجلسه الرجال والنساء وترى النساء يكثرن الصياح
وجدا على زعمهن فلا ينكر ذلك جمعا للقلوب عليه ولقد ظهر في زماننا هذا من

القصاص ما لا يدخل فى التلبيس لانه امر صريح فى كونهم جعلوا القصص يتعاش
يسمحون به الامراء والظلمة والاخذ من اصحاب المكوس والمتكسب به فى
البلدان وفيهم من يحضر المقابر فيتذكر البلى وفراق الاحباب فيبكى النساء ولا يحث
على الصبر وقد لبس ابليس على الواعظ المحقق فيقول له مثلك لا يعظ و
انما يعظ متيقظ فيحمله على السكوت والانقطاع وذلك من وساوس ابليس
لانه يقصد منع الخيرة وقد يقول له انك تلتذ بما تورده وتجد لذلك راحة
وربما دخل الرياء فى قولك وطريق الوحدة اسلم فمقصده بذلك سد باب
الخير والحديث باسناده مرفوع الى سلام بن ابى مطيع عن ثابت قال كان
احسن يعدل للولاء تكلم فقال اوهناك انا فقال واينا هناك لولا الشيطان
انكم اخذتموها عنه فلم يا مراحد بخير ولم ينه عن شره ٭

ذكر تلبيسه على اهل اللغة والادب

قد لبس على جمهورهم فشغلهم بعلوم النحو فيه اللغة عن المهمات اللازمة التى هى
فرض عين من معرفة ما وليزمهم عرفانه من العبادات ومما هو اولى بهم من
اداب القلوب النفوس وصلاح القلوب ومما هو افضل من علوم
التفسير والحديث والفقه فاذهبوا الزمان كله فى علوم لا يراد لنفسها
بل لغيرها فان الانسان اذا فهم الكلمة فينبغى ان يترقى الى العمل بها او هى
اراده لغيرها فاكثرى الانسان منهم لا يكاد يعرف من اداب الشريعة

الا القليل ولا من الفقه ولا يلتفت الى تزكية نفسه وصلاح قلبه ومع هذا
ففيهم كبر عظيم وقد اقبل اليهم ابليس لكم من علماء الاسلام لان النحو واللغة
من علوم الاسلام فيها يعرف معنى القران العزيز ولعمري ان هذا
لا ينكر ولكن معرفة ما يلزمه من النحو لاصلاح اللسان وما يحتاج اليه من اللغة
في تفسير القران والحديث اقرب وما هو كاللازم وما عدا ذلك فضل
لا يحتاج اليه واتفاق الزمان في تحصيل هذا الفاضل وليس بهم مع ترك
المهم غلط وايثارة على ما هو انفع واعلى رتبة كالفقه والحديث غبن و
لو اتسع العمر لمعرفة الكل كان حسنا ولكن العمر قصير فينبغي ايثار الاهم والافضل
فصل ٥ وما ظنوه صوابا وهو خطاء مما اخبرنا به ابو منصور القزاز و
ابو الفضل بن ناصر وابو الحسن الانصاري قالوا اخبرنا ابو زكريا التبريزي
قال اخبرنا سلمان بن ايوب قال ابو الحسن بن قاس قال قل لفقيه العرب
هل يجب على الرجل اذا شهد الوضوء قال نعم قال والاشهادات ان
يهدي الرجل وذكر من هذا الحديث مسايل كثيرة وهذا غاية في الخطاء لانه
من كان الاسم مشتركا بين مسميين كان اطلاق الفتوى على احدهما دون
الاخر خطاء مثاله ان يقول المستفتي ما يفسرك وطي الرجل زوجه في قرئها
فان القرء يقع عند اللغويين والفقهاء على الاطهار والحيض يقول الفقيه يجوز
اشارة الى الطهر ولا يجوز اشارة الى الحيض وكذلك لو قال السايل

باب ٦

هل يجوز للصايم بعد طلوع الفجر لم يجز اطلاق الجواب فاما ذكره فقيه العرب
خطاء من وجهين احدهما انه لم يستفصل في المجملات والثاني انه صرف
الفتوى الى البعد المجملات وترك الاظهر وقد استحسنوا هذا او قلة الفقه
اوجبت هذا الزلل فصل ولما كان عموم استغفالهم باشعار الجاهلية
ولم يجد الطبع صادا عنها وضع عليه من مطالعة الاحاديث ومعرفة سير
السلف الصالح سالت بم الطباع الى اهوة الهوى فانبت سرج البطالة
بعث فقيل ان ترى امنهم ستة اغلاء بالتقوى او ناظرا في مطلع فان
النحو فغلب طلبه على السلاطين فيما كل النحاة من اموالهم الحرام كما كان
ابو علي الفارسي في خلل عضد الدولة وغيره وقد يظنون جواز الشي وهو
غير جايز لقلة فقههم كما جرى للزجاج اخبرنا ابو منصور القزاز مرفوعا الى احمد
بن عباس الفاضي باسناد قال حدثني ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج
قال كنت ادرب القاسم بن عبيد الله واقول له ان بلغك الله ببابك
ابيك وليت الوزارة ماذا تصنع في فيقول ما احببت فاقول له تعطيني
عشرين الف دينار وكانت غاية امنيتي فما مضت الا سنون حتى ولي القسم
الوزارة وابا علي على ملازمتي له وقد جرت ندية فدعتني نفسي الى اذكاره بالوعد
ثم هيبته فلما كان في اليوم الثالث من وزارته فقال لي يا ابا اسحاق لم ار
اذكر مني النذر فلما كان في اليوم الثالث من وزارته فقال لي يا ابا اسحق

استحسنوا

لم ار لك اذكرتنى النذر فقلت عولت على رعاية الوزير ايد الله و انه
لا يحتاج الى اذكارى للنذر عليه فى امر خادم واجب الحق فقال لى انه
المعتضد ولولا يعاطى او دفع ذلك اليك فى مكان واحد ولكن اخاف
ان يعسر لى معه حديثا فاصبح لى باخذه متفرقا ففعلت افعل فقال اجلس الناس
و خذ رقاعهم فى الحوايج الكبار و استجعل عليها ولا تمنع من سالنى شيا
يخاطب فيها صحيحا كان او محالا الى ان يحصل لك مال النذر ففعلت
ذلك وكنت اعرض عليه كل يوم رقاعا فيوقع فيها و ربما قال لى كم ضمن
لك على هذا فتقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا ايسا وى كذا وكذا فاشرح
فاراجع القوم فما زال اما كسهم و يزيدونى حتى اذا بلغ الحد الذى رسمه
قال فعرضت عليه شيا عظيما فحصل عندى عشرون الفا و اكثر منها فى
فقال لى بعد شهور يا ابا اسحق حصل مال النذر فقلت لا فسكت وكنت
اعرض لم يسالنى فى كل شهر ونحوه هل حصل المال فاقول لا خوفا من انقطاع
الكسب الى ان حصل عندى ضعف المال فسالنى يوما فاستحييت من الكذب
المتصل فقلت قد حصل ذلك ببركة الوزير فقال فرجت و الله عنى فقد
كنت مشغول القلب الى ان يحصل لك ثم اخذ الدواة فوقع لى الى خازنه
بثلثة آلاف دينار صلة فاخذتها و امتنعت ان اعرض عليه شيا ولم ادر
كيف وقع فيه فلما كان من غد جئته وجلست على رسمى فاومى الىّ هات

ما لعك يستعطى عنى الرقاع على الرسم فقلت ما اخذت من اخذ رقعة لان القدر قد
وقع الوقاية ولم ادر كيف اقع من الوزير فقال يا سبحان الله اترانى كنت اقطع
عنك شيأ قد صار لك به عادة وعلم الناس به وصار لك به منزلة عند هم
وجاه وغدوا وروح الى بابك ولا يعلم سبب انقطاعه فيظن ذلك لضعف جاهك
عندى او لعزر رسك اعرض علىّ على الرسمى وخذ بلا احتساب فقبلت يده وباكرته
من غد بالرقاع وكنت اعرض عليه كل يوم شيأ الى ان مات وقد تانث حالى بهذه
قلت انظروا ما تصنع قلة الفقه فان هذا الرجل الكبير القدر فى معرفة النحو واللغة
لو علم ان هذا الذى جرى له لا يجوز شرعا ما حكاه ويحج به ان ايصال ظلامات واجب
ولا يجوز اخذ البر طيلة عليها ولا على شى مما نصب الوزير له من امور الدولة و
بهذا يتبين مرتبة الفقيه على غيره ط

ذكر تلبيسه على الشعراء

قد لبس عليهم فاراهم انهم من اهل الادب وانكم قد خصصتم بفطنة تميزتم بها عن
غيركم ومن خصكم بهذه العظمة ربما عفا عن زللكم فصيراهم يهيمون فى كل واد من الكذب
والقذف والهجاء وهتك الاعراض والاقرار بالفواحش واقل احوالهم ان
ان الشاعر يمدح الانسان فاذا عجز عن ان يهجوه فيعطيه القاشرة او يمدحه بن
جماعة فيعطيه حياء من الحاضرين وجميع ذلك من جنس المصادرة وترى خلقا من
الشعراء واهل الادب لا يتحاشون من لبس الحرير والكذب والمدح خارجا عن الحد

ويكون انتجاعهم على الفسوق وشرب الخمر ويقول احدهم اجتمعت انا وجماعة من الادباء ففعلنا كذا وكذا اهيهات ليس الادب الا مع الله عز وجل باستعمال التقوى له ولا قدر للمرء من امور الدنيا ولا يحسن العبادة عند الله اذا لم يتقه وجمهور الشعراء والادباء اذ فيهم فرق تسخطوا وكفروا

واخذوا في يوم الاقدار كقول بعضهم ان اصبحت جمعي في الوفق عالية
فان خطي ببطن الارض ملتصق كم يفعل الدهر لي بالاساوية

وكم يسيئ زمان جائر خرق وقد فشى هؤلاء معاصيهم بفشو ارزاقهم فقد راوا انفسهم مستحقين المنعم مستوجبين للسلامة من البلاء ولم يتلمحوا ما يجب عليهم من استعمال اوامر الشرع فلقد قلت قطنهم في هذه الغفلة

ذكر تلبيسه على الكاملين من العلماء

ان اقواما علت هممهم فحصلوا علوم الشرع من القران والحديث والفقه والادب وغير ذلك فاتاهم ابليس يخفي التلبيس فاراهم انفسهم بعين عظيمة لما قالوا واقاموا واغيرهم فمنهم من استقره بطول عنايته في الطلب فحسن له اللذات وقال له الى متى في النصب فارح جوارحك من كلف التكاليف وافسح لنفسك في شهواتها فان وقعت زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة وزاور وعليه فضل العلماء فان خذل هذا العبد قبل هذا التلبيس فهلك وان وفق فينبغي ان يقول له جوابك من ثلثة اوجه احدها انه انما فضل العلماء بالعلم والعمل ولولا العمل به ما كان

معنى فان انا لم اعمل به كنت كمن يفهم المقصود به و يصير مثلى كمثل رجل جمع الطعام
واطعم الجياع ولم ياكل فهم ينتفعه ذلك من جوعه والثانى ان يعارضه بما ورد فى
ذم من لم يعمل بالعلم كقول النبى صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا عالم
لم ينفع بعلمه و حكاية عليه السلام عن رجل يلقى فى النار فيندلع افتاته فيقول كنت
امر بالمعروف ولا آتيه وانهى عن المنكر آتيه وقول ابى درداء ويل لمن لم يعلم
مرة وويل لمن علم سبع مرات والاخبار فى هذا كثيرة والثالث ان يذكر له عقاب
من اهلك من العلماء التاركين العمل بالعلم كابليس ويلعام ويكفى فى ذم العالم اذا
لم يعمل قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا فصل وقد تلبس على قوم من المحكمين للعلم
والعمل من جهة اخرى فحسن لهم الكبر بالعلم والحسد المنظر والرياء لطلب الرياسة
فتارة يريهم ان هذا كالحق الواجب لكم وتارة يقوى حبكم عندهم ولا يتركونه
مع علمهم انه خطاء وعلاج هذا المن وقف اذعان النظر فى اثم الكبر والحسد والرياء
واعلام النفس ان العلم لا يدفع شره هذه المكتسبات بل يضاعف عقابها لتضاعف
الجمعة بها ومن نظر فى سير السلف من العلماء العاملين احتقر نفسه فلم يتكبر ومن
عرف الله لم يرائى ومن لاحظ جريان اقداره على مقتضى ارادته لم يحسده وقد
يدخل ابليس على هؤلاء بشبهة ظريفة فيقول طلبكم للرفعة ليس بتكبر لانكم نواب
الشرع وانتم مستطلبون اعزاز الدين وتخصص اهل البدع واطلاقكم اللسان فى الحسد
غضب الشرع اذا الحاسد قد ذموا من قام به وما يضمونه رياء فليس برياء لان من

تخاشع منكم وتباكى اقتدى به الناس كما يقتدون بالطبيب اذا احتمى اكثرن
اقتدائهم بقوله اذا وصف وكشف هذا التلبيس انه لو تكبر متكبر على غيره
من جنسه وصعد فى المجلس فوقه او قال حاسده عنه شيئا لم يغضب هذا
العالم لذلك كغضبه لنفسه وان كان المذكور من نواب الشرع فعلم انه
يغضب لنفسه لا للعلم واما الرياء فلا عذر فيه ولا يصلح ان يجعل طريقا لدعاية
الناس وقد كان ايوب السختيانى اذا يحدث يحدث فرق ومسح وجهه
وقال اشد الركام وبعد هذه والاعمال بالنيات والناقد بصير منكم من سكت
عن غيبة المسلمين اذا انتبهوا عنده فرح قلبه وهو اسم بذلك من ثلثة اوجه
احدها الفرح فانه حصله بوجود هذه المعصية التنجيات والثانى السواد مثلب
مسلم والثالث اذا لم ينكر فصل وقد لبس ابليس على الكاملين فى العلوم
فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم فى تصانيف العلوم ويريهم ابليس ان ذلك
نشر ويكون مقصودهم فى الباطن انتشار الذكر وعلو الصيت والرياسة لطلب
الرحلة من الافاق الى مصنف وينكشف هذا التلبيس بانه لو انتفع بمصنفاته
الناس من غير تردد اليه او قريت على نظيره فى العلم فرح بذلك فكان
مراده نشر العلم وقد قال بعض السلف ما من علم علمته الا احببت ان يستفيده الناس
من غير ان ينسب الى وفيهم من يفرح بكثرة الاتباع فلبس عليه ابليس بان هذا
الفرح لكثرة طلاب العلم وانما مراده كثرة الاصحاب واستعارة الذكر وينكشف

هذا

هذا التلبيس بانه لو انقطع بعضهم الى غيره ممن اعلم منه نقل ذلك عليه
وما هذا صفة المخلص في التسليم لان مثل المخلصين مثل الاطباء الذين يداوون
المرضى لله سبحانه وتعالى فاذا شفى بعض المرضى على يد طبيب منهم فرح الآخر
وقد ذكرنا آنفا حديث ابن ابي ليلى وتعبده باسناد آخر اخبرنا اسمعيل
بن احمد قال اخبرنا عمر بن عبيد المنعال قال اخبرنا ابو الحسين بن بشران
قال حدثنا عثمان بن احمد قال حدثنا حنبل قال حدثني ابو عبد الله قال
حدثنا جرير عن عطاء عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ادركت عشرين ومائة
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار ما منهم رجل يسال عن
شيء الا ود ان اخاه كفاه ولا يحدث حديثا الا ود ان اخاه كفاه ؛

فصل وقد يخلص العلماء الكاملون من تلبيسات ابليس الظاهرة فيلتبس
بخفي من تلبيسه فيقول له ما لقيت مثلك ما اعرفه بمداخلي ومخارجي فان
سكن الى هذا اهلك بالعجب وان سلم من المساكنة له سلم وقد قال سري
السقطي لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع ما خلق الله تعالى من الاشجار
عليه اجمع ما خلق الله من الاطيار فخاطبه كل طاير بلغته وقال السلام
عليك يا ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان في ايديها اسيرا ؛ ؛ ؛

الباب السابع في ذكر تلبيسه على الولاة والسلاطين ؛

قد لبس عليهم ابليس من وجوه كثيرة نذكر امهاتها فالوجه الاول انه يريهم ان

الله تعالى يحبكم ولولا ذلك ما ولاكم سلطانه وجعلكم نوابا عنه في عباده و
ينكشف هذا التلبيس بانهم ان كانوا نوابا عنه في الحقيقة فليحكموا الشرعه و
ليتبعوا مراضيه فحينئذ يجب طاعتهم فاما صورة الملك والسلطنة فانه قد
اعطاها خلقا ممن يبغضه وقد بسط الدنيا الكثير ممن لا ينظر اليه وسلط جماعة
من اولئك على الانبياء والصالحين فقتلوهم وقهروهم فكان ما اعطاهم عليهم
لا لهم ودخل ذلك في قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما والثاني بقول لهم الولاية
يفتقر الى هيبة فيتكبرون على طلب العلم ومجالسة العلماء فيعملون بارائهم
فيسلف الدين ومن المعلوم ان الطبع يسرق من خصال المخالطين فاذا خالطوا
سوء ثم الدنيا الجهال بالشرع سرق الطبع من خصالهم ما عده منها ولا يرى ما يظن
بقاومها ولا ما يزجر عنها وذلك سبب الهلاك والثالث انهم يخوفهم الاعداء
ويامرهم بتشديد الحجاب ولا يصل اهل المظالم وهو اما ان يحصل من يكون سبب المظالم
وقد روى ابو مريم الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ولاه الله
شيئا من امور المسلمين واحتجب من دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله
عز وجل دون حاجته وخلته وفقره الرابع انهم يستعملون من لا يصلح ولا علم
عنده ولا تقوى فيستجلب الدعاء عليهم بظلمه للناس ولطعمهم الحرام بالبيوع
الفاسدة ويحد من لا يجب عليه الحد ويظنون انهم يخلصون من الله تعالى بما
جعلوه في عنق الوالي فهيهات ان العامل على الزكوة اذا وكل الفساق بتفريقها

فانه

فخانوا ضمن والخامس انه يحسن لهم العمل برايهم فيقطعون من لا يجوز قطعهم و
يقتلون من لا يحل قتله ويوهمهم ان هذه سياسة وتحت هذا من المعنى ان الشريعة
ناقصة الى يحتاج الى تمام ونحن نتممها براينا وهذا من اقبح التلبيس لان الشريعة
سياسة الهية ومحال ان يقع في سياسة الا له خلل يحتاج معه الى سياسة
اخرى قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شئ وقال لا يعقب لحكمه فمدح السياسة
مدح للخلل في الشريعة وهذا يزاحم الكفر وقد رويا عن عضد الدولة انه كان
يميل الى جارية فكانت تشغل قلبه فامر بتغريقها لئلا يشغل قلبه عن تدبير الملك
وهذا هو الجنون المحض لان قتل مسلمة بلا جرم لا يحل واعتقاده ان هذا جايز
لكنه راه مصلحة فيما يخالف الشرع السادس انه يحسن لهم الانبساط في الاموال
ظانين فعالهم انها محكمهم وهذا تلبيس يكشفه وجوب الحجر على المفرط في مال نفسه
فكيف بالمتاجر في حفظ مال غيره وانما له من المال بقدر عمله فلا وجه للانبساط
قال ابن عقيل وقد روى عن حماد الراوية انه انشد الوليد بن يزيد ابياتا فاعطاه
خمسين الفا وجاريتين قال وهذا يجايرى على وجه المدح وهو غاية القدح فيهم
لانه لا تبذير في بيت مال المسلمين وقد زين لبعضهم منع المستحقين وهو فظيع التبذير
والسابع انه يحسن لهم الانبساط في المعاصي ويلبس عليهم بان حفظكم السبيل وامن
البلاد بكم يدفع عنكم العقاب وجواب هذا ان يقال انما وليتم ليحفظوا البلاد و
يوسعوا السبيل فهذا واجب عليهم وما انبسطوا فيه من المعاصي منهي عنه فلا يدفع

هذا ذلك والثامن انه يلبس عليهم بانه قد قام بما يجب من جهته ان ظواهر
الاحوال مستقيمة ولو حقق النظر لرأى اختلالا كثيرا وقد رويناعن القسم بن
طلحة بن محمد الشاهد رايت علي بن عيسى الوزير وقد وكل بدور الطبع رجلا
برزق مطوفا على باعة العنب فاذا اشترى احد سلم عنب حرمى لم يعرض
وان اشترى اثنين فصاعدا طرح عليها الملح لئلا يمكن عملها خمرا قال و
ادركت السلاطين يمنعون عن الطريق المنجمين ان يجلسوا فيها حتى لا يفشوا
العمل بالنجوم وادركوا الجند ليس فيهم احد سعه غلام امرد له طرة ولا شعر
الى ان هذا الحكمة والعجبة التاسع انه يحسن لهم استجلاب الاموال واستخراجها
بالضرب العنيف واخذ كلما يملكه الخاين وانما الطريق اقامة البينة على الخاين
والاستحلاف وقد رويناعن عمر بن عبد العزيز ان غلاما كتب اليه ان قوما خانوا
من مال الصدقة ولا اقدر على استخلاص ما في ايديهم الا ان انا لهم بعذاب فكتب
اليه لان ملعون احد بخيانتهم احب الي من ان اقاوه بدمائهم والعاشر
انه يحسن لهم الصدقة بعد الغصب يريهم ان هذا يمحو ذلك ويقولون ان درهما
من الصدقة يمحو اثم عشرة من الغصب وهذا محال ان الغصب باق ودرهم الصدقة
اذا كان من الغصب لم يقبل فان كانت الصدقة من مال حلال لم يدفع ايضا اثم
الغصب لان اعطاء الفقير لا تعلق الذمة بحق اخر والحادي عشر انه يحسن لهم
مع الاصرار على المعاصي زيارة الصالحين وسوالهم الدعاء ويريهم ان هذا مخفف

ذلك الاثم وهذا الخبر لا يدفع ذلك الشر وفي الحديث عن الحسين بن زياد
قال سمعت منيعا يقول مر تاجر بعشار فحبسوا عليه سفينته فجاء الى مالك بن
دينار فذكر ذلك له فقام مالك فمشى معه الى العشار فلما راوه قالوا ايا يحيى
الا بعثت الينا حاجتك قال حاجتي ان تخلوا سفينة هذا الرجل قالوا قد فعلنا
قال وكان عندهم كوز يجعلون ما يا خذون من الناس من الدراهم فيه
فقالوا ادع لنا يا ابا يحيى قال قولوا للكوز يدعوا لكم كيف ادعو لكم والف
يدعون عليكم اترى يستجاب للاحد ولا يستجاب للالف والثاني عشر ان
من الولاة من يعمل لمن فيامره بالظلم فيظلم ويلبس عليه ابليس بان الاثم
على الآمر لا عليك وهذا لانه معين على الظلم وكل معين على المعاصي عاصي فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة ولعن اكل الربا وموكله و
كاتبه وشاهديه ومن هذا الفن ان يجبى المال لوالي خوفه وقد علم انه يبذر فيه
ويجوز فهذا معين الظلم ايضا وفي الحديث باسناده مرفوع الى جعفر بن
سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفا بالمرء خيانة ان يكون
امينا للخونة الباب الثامن في ذكر تلبيسه على العباد في العبادات

اعلم ان الباب الاعظم الذي يدخل منه على الناس هو الجهل فهو يدخل منه على الجهال
بامان واما العالم فلا يدخل عليه الا سافة وقد يلبس على كثير من المتعبدين لقلة
علمهم لان جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم وقد قال الربيع بن خيثم تفقه

ثم اعتزل فاول تلبيسه عليهم ايثارهم التعبد على العلم والعلم افضل من النوافل فاراهم ان المقصود من العلم العمل وما فهموا من العمل الا على الجوارح وما ان العلم عمل القلب وعمل القلب افضل من عمل الجوارح قال مطرف بن عبد الله فضل العلم افضل من العبادة وقال يوسف بن اسباط باب من العلم يتعلمه خير من سبعين غزوة وقال المعافا بن عمران كتابة حديث واحد احب الى من صلوة ليلة فلما مر عليهم هذه التلبيس واثروا التعبد بالجوارح على العلم تمكن من التلبيس عليهم فى فنون القصد ط

ذكر تلبيسه عليهم فى الاستطابة والحدث

من ذلك انه يامرهم بطول المكث فى الخلاء ولو ذلك يوذى الكبد وانما ينبغى ان يكون بمقدار وفيهم من يقوم ويمشى ويتنخع ويرفع قدما ويحط اخرى وعنده انه يستنقى بهذا وكلما زاد فى هذا انزل البول فبيان هذا انما الماء يرشح الى المثانة ويجتمع فيها فاذا انهيا الانسان للبول خرج ما اجتمع فاذا مشى وتنخع وتوقف رشح شئ اخر فالرشح لا ينقطع وانما يكفيه ان يحتلب ما فى الذكر بين اصبعيه ثم يتبعه الماء ومنهم من يحسن له استعمال الماء الكثير وانما يجزيه بعد زوال العين سبع مرات على اسد المذاهب فان استعمل الاحجار فيما لم يتعد المخرج اجزاه ثلثة احجار اذا نقى بهن ومن لم يقنع بما قنع الشرع به فهو مبتدى شرعا لا متبع ط

ذكر تلبيس ابليس في الوضوء

منهم من يلبس عليه في النية فنواه يقول ارفع الحدث ثم يقول استريح الصلوة ثم يعيد فيقول ارفع الحدث وسبب هذا التلبيس الجهل بالشرع لان النية بالقلب لا باللسان فتكلف اللفظ امر لا يحتاج اليه ثم لا معنى لتكرار اللفظ و منهم من يلبس عليه بالنظر في الماء المتوضى به فيقول من اين لك انه طاهر ويقدر بلة فيه كل احتمال بعيد وفتوى الشرع يكفيه بان اصل الماء الطهارة فلا يترك الاصل باحتمال ومنهم من يلبس عليه بكثرة استعمال الماء وذلك يجمع اربعة اشياء مكروهة السرف في الماء وتضييع العمر الذي لا قيمة له فيما ليس بواجب ولا مندوب والتعاطي على الشريعة اذا لم يقنع بما قنعت به في استعمال الماء القليل والدخول فيما نهيت عنه من الزيادة على الثلث وربما اطال الوضوء ففات وقت الصلوة او فات اوله الذي هو الفضيلة او فاتته الجماعة ويلبس ابليس على هذا بانك في عبادته فلم تصح الصلوة ولو تدبر امن وعلم انه في تفريطه ومخالفته وقد رأينا من ينظر في هذه الوساوس ولبس يبالي بمطعمه ومشربه ولا يحفظ لسانه غيبة فليسد قلب الامر وفي الحديث عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال في الوضوء سرف فقال نعم وان كنت على نهر جار وفي الحديث باسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان

يقال له الوليان فاتقوه او قال فاحذروه وباسناده عن سفيان بن سنان
عن محسن قال شيطان الوضوء يدعى الوليان فتحك بالناس في الوضوء و
باسناده مرفوع الى نعامة ان عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم انى اسالك
الفردوس واسالك فقال عبد الله سل الجنة وتعوذ به من النار
فانى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول سيكون فى هذه الامة قوم يعتدون
فى الدعاء والطهور وباسناده عن الحسن انه كان يعرس ابن سيرين يقول
تيوضا احدهم بقربته ويغتسل بمراده صبًا صبًا ودلكًا دلكًا تعذيبا لانفسهم
وخلافا لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم كان ابو الوفا بن عقيل يقول اجل
محصول عند العقلاء الوقت واقل متعبد به الماء وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم صبوا على بول الاعرابى ذنوبا من ماء وقال فى المنى امطه
عنك باذخره وقد قال فى الخداء طهوره ان ذلك فى المطهرة وفى
ذيل المرأة يطهرها بعده وقال يغسل بول الجارية وينضح على بول الغلام
وكان يحمل بنت ابى العاص بن الربيع فى الصلوة ونهى الراعى عن اعلام
السايل له عن الماء وما يرده وقال ما اعنت لنا طهورا وقال يا صاحب
المراب لا تخزه وقد صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب وركب
الحمار وما عرف من خلقه التعبد بالماء الكثير وبقضاء من سقاية المسجد و
معلوم حال الاعراب الذى بان من احدهم الاقدام على البول فى المسجد

على انكر

كل ذلك تعليمنا واعلامنا ان الماء على اصل الطهارة وتوضأ من غدير كان
ماؤه بقاعة الحنا واما قوله تنزهوا من البول فان للتنزه حداً معلوماً وهو
ان لا يغفل عن محل قد اصابه حتى يتبعه الماء فاما الاستشعار فانه علق بماء
وانقطع الوقت بما لا يقتضي بمثله الشرع قلت وكان اسود بن سالم وهو من
كبار الصالحين يستعمل ماء كثيرا في وضوءه ثم ترك ذلك فساله رجل
عن سبب تركه فقال نمت ليلة فاذا هاتف يهتف يا اسود ما هذا يحيى بن
سعيد الانصاري حدثنا عن سعيد بن المسيب قال اذا جاوز الوضوء ثلثا
لم يرفع الى السماء قال فقلت لا اعود فانا اليوم يكفي كف من الماء

ذكر تلبيسهم في الاذان

من ذلك التلحين في الاذان وقد كرهه مالك بن انس وغيره من العلماء
كراهة شديدة لانه يخرجه عن موضع التعظيم الى مشابهة الغناء ومنها انهم
يخلطون اذان الفجر بالتذكير والتسبيح والمواعظ ويجعلون الاذان وسطا
فيختلط وكره العلما كلما يضاف الى الاذان وقد راينا من يقوم بليل
كثير على المنابر فيعظ ويذكر ويقرء سورة من القران بصوت رفيع فيمنع
الناس من نومهم ويخلط على المتهجدين قراتهم وكل ذلك من المكروهات

ذكر تلبيسهم في الصلوة

من ذلك تلبيسهم في الثياب التي يستترون بها فترى احدهم يغسل الثوب الطاهر مرارا وربما مسه مسلم فيغسله ومنهم من يغسل ثيابه

فى رجله لا يرى ان غسلها فى البيت تجزى ومنهم من يدليها فى البير كفعل اليهود
وما كانت الصحابة يفعل هذا بل صلوا فى ثيابهم فارس لما فتحوها واستعملوا اوطيتهم واكسيتهم ومن الموسوسين من يقطر عليه قطرة ماء فيغسل الثوب كله وربما تاخر لذلك عن صلوة الجماعة ومنهم ترك صلوة الجمعة لمطر يسير يخاف ان ينتضح عليه ولا يظن ظان انى امنع من النظافة والورع المبالغة الخارجة عن حد الشرع المضيعة للزمان هى التى انهى عنها ومن ذلك تلبيسه عليهم فى نية الصلوة فمنهم من يقول اصلى صلاة كذا ثم يعيده هذا ظننا منه قد نقض النية والنية لا تنتقض فان يرضى اللفظ ومنهم من يكبر ثم ينقض فاذا ركع الامام كبر الموسوس وركع معه فليت شعرى ما الذى احضر النية حينئذ وما ذاك الا ان ابليس اراد ان يفوته الفضيلة ومن الموسوسين من يحلف بالله لاكبرت غير هذه المرة ومنهم من يحلف بالخروج من ماله او بالطلاق وهذا كله تلبيس والشريعة سمحة سهلة سليمة من هذه الافات ولا جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه شىء من هذا وقد بلغنا عن ابى حازم انه دخل المسجد فوسوس اليه ابليس انك تصلى بغير وضوء فقال ما ابلغ من نصحك لى هذا وكشف هذا التلبيس ان يقال للموسوس ان كنت تريد احضار النية والنية حاضرة لانك قمت تتوضا وهى الفريضة فهذه هى النية ومحلها القلب لا اللفظ و

وانك تريد تصحيح اللفظ فاللفظ لا يجب ثم قد قلته صحيحا فما وجه الاعادة افترك
نظن وقد قلت انك ما قلت هذا مرض ولقد حكى لى بعض الاشياخ عن ابن عقيل
حكاية عجيبة ان رجلا لقيه فقال انى اغتسل الوضوء واقول ما غسلته واكبر و
اقول ما كبرت فقال له ابن عقيل دع الصلوة فانها ما يجب عليك فقال قوم
لابن عقيل كيف تقول هذا فقال لهم قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ويقول ما كبرت فليس ببعاقل والمجنون
لا يجب عليه الصلوة قلت ونعلم ان الوسوسة فى نية الصلوة سببها جهل
فى العقل او جهل بالشرع ومعلوم ان من دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت
ان انتصب قايما تعظيما لدخول هذا العالم لاجل عمله مقبلا له عليه بوجهى سفه
فى عقله لان هذه قد تصور فى ذهنه منذ راى العالم فقيام الانسان الى
الصلوة ليودى الفرض امر مستصور فى النفس فى حالة واحدة لا يطول زمانه
وانما يطول زمان نظم الالفاظ والالفاظ لا يلزم والوسواس محض جهل فان
الموسوس تكلف نفسه ان يحضر فى قلبه الطهرية والاذانية والفرضية فى حالة
واحدة مفصلة بالفاظها وهو يطابعها وذلك محال وكلف نفسه ذلك فى
القيام لعالم لتعذر عليه فمن عرف هذا عرف النية ثم انه يجوز تقديمها على التكبير
بزمان يسير لم يفسخها فما وجه هذا التعب فى الحاقها بالتكبير على انه اذا حصلها
ولم يفسخها فقد التصقت بالتكبير وفى الحديث باسناد مرفوع باسناد وحدث

باب ٨

رجاله عن ابن مسعود قال اخرج الى معن بن عبد الرحمن كتابا وحلف بالله انه خط ابيه فاذا فيه قال عبد الله والذى لا اله غيره ما رايت احدا اشد خوفا على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رايت بعده اشد عليهم خوفا من ابى بكر وانى لاظن عمر كان اشد اهل الارض خوفا عليهم فصل ومن الموسوسين اذا صحت له النية وكبر فهل عن باقى صلوته كان المقصود من التكبير الصلوة فقط وهذا تلبيس عليهم يكشفه ان التكبير يراد للدخول فى العبادة فكيف يهل العبادة التى هى كالدار ويقتصر على التشاغل بحفظ الباب فصل ومن الموسوسين من تصح له التكبير خلف الامام وقد بقى من الركعة يسير فليستفتح ويستعذ فيركع الامام وهذا تلبيس ايضا لان الذى شرع فيه من الاستفتاح والتعوذ مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة واجب وهو لازم المأموم عند جماعة من العلماء فلما ينبغى ان يقدم عليه سنة فقد كنت اصلى وراى شيخنا ابى بكر الدينورى الفقيه فى رمان الصبى فلربى مرة افعل هذا فقال يا بنى ان الفقهاء قد اختلفوا فى وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يختلفوا ان الاستفتاح سنة فاشتغل بالواجب ودع السنن فصل وقد يلبس ابليس على قوم فيتركوا اكثر السنن لواقعات وقعت لهم فمنهم من كان يتاخر عن الصف الاول ويقول انما اراد قرب القلوب ومنهم من لم يضع يده فى الصلوة وقال اكره ان اظهر من الخشوع ما ليس فى قلبى

وقد

وقد روينا هذين الفعلين عن بعض اكابر الصالحين وهذا امر اوجبه قلة العلم ففي
الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس
ما فيهم في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه لاستهموا عليه
وفي افراد مسلم من حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير صفوف الرجال
اولها وشرها اخرها واما وضع اليد على اليد سنة روى ابو داود في سننه
ان ابن الزبير قال وضع اليد على اليد من السنة وان ابن مسعود كان يصلي فوضع
يده اليسرى على اليمنى فراه النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده اليمنى على اليسرى
ولا يكبر ما عليك انكارنا على من قال اراد قرب القلوب ولا اضع يدا على يد و
انكان من الاكابر فان للشرع المنكر لا نحن وقد قيل لاحمد بن حنبل ان ابن المبارك
يقول كذا وكذا فقال ابن المبارك لم ينزل من السماء وقيل له قال ابراهيم
بن ادهم فقال جيئوني ببينات الطريق عليكم بالاصل فلا ينبغي ان تترك السنن
يقول معظم في النفوس فان الشرع اعظم والخطاء في التاويل على الناس يجري
ومن الجائز ان يكون الاحاديث تبعا يبلغه فصل يلبس ابليس على بعض
المصلين في مخارج الحروف فتارة يقول الحمد الحمد فيخرج باعادة الكلمة عن
قانون ادب الصلوة وتارة يلبس في تحقيق التشديد وتارة في اخراج ضاد
المغضوب ولقد رايت من يقول المغضوب فيخرج بصاده مع اخراج الضاد
لقوة التشديد وانما المراد تحقيق الحروف فحسب وابليس يخرج هؤلاء

بالزيادة عن حد التحقيق ويشغلهم بالمبالغة في الحروف عن فهم التلاوة كل
هذه الوساوس من ابليس وفي الحديث باسناده عن سعيد العبار ان سهل
بن ابي امامة حدثه انه دخل هو وابوه على انس بن مالك وهو يصلي صلوة
خفيفة كلها صلوة مسافر فلما سلم قال يرحمك الله ارايت هذه الصلوة المكتوبة
ام شيء تنفله قال انها الصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخطات الا شيأ
سهوت عليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تشددوا
على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك
بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كسناها عليهم وفي افراد
مسلم من حديث عثمن بن ابي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان
قد حال بيني وبين صلاتي وقرأتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذاك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن
يسارك ثلثا ففعلت فاذهبه الله عني فصل وقد لبس ابليس على خلق كثير
من جهة المبتدعين فراوا ان العبادة هي القيام والقعود فحسبهم هم مدبون في
ذلك ويخلون ببعض واجباتها ولا تعلمون ولقد تامدت جماعة يصلون
اذا سلم الامام وقد بقي عليهم من التشهد الواجب شيء وذلك لا يحمله الامام
عنهم وليس على آخرين منهم فهم يطيلون الصلوة ويكثرون القراءة ويتركون
المسنون في الصلوة وترتكبون المكروه فيها ولقد دخلت على بعض المتعبدين

وهو يتنفل بالنهار ويجهر بالقراءة فقلت له ان الجهر بالقراءة في النهار مكروه
فقال لي انما اطرد النوم عني بالجهر فقلت له ان السنن لا تترك لاجل سهرك
متى عليك النوم فنم فان للنفس عليك حقا وفي الحديث باسناد عن بريدة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهر بالقراءة بالنهار فارجموه بالبعر
فصل وقد لبس ابليس على جماعة من المتعبدين فاكثروا في صلوة الليل
وفيهم من يسهره كله ويفرح بقيام الليلة وصلوة الضحى اكثر مما يفرح باداء الفرايض
ثم يقع قبل الفجر فيفوته الفريضة او يقوم منهيا لها فيفوتها الجماعة او يصبح كسلان
فلا يقدر على الكسب لعياله ولقد رايت شيخا من المتعبدين يقال له حسين
القزويني يمشي كثيرا من النهار في جامع المنصور فسالت عن سبب مشيه
فقيل لي لئلا ينام فقلت هذا جهل بمقتضى الشرع والعقل واما الشرع فان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لنفسك عليك حقا فقم ونم وكان يقول عليكم بديا
فاصدافانه من يشاد هذا الدين يغلبه عن انس بن مالك قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين فقال ما هذا قالوا
لزينب يصلي فاذا كسلت او فترت امسكت به فقال حلوه ثم قال ليصل احدكم
نشاطه فاذا كسل او فتر فليقعد قال عبد الله بن احمد قال حدثني ابي
باسناد مرفوع عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نعس احدكم فليرقد حتى يذهب عنه النوم فانه اصلى وهو ينعس لعله

باب ٨

يذهب يستغفر فيذهب نصف ليل اذا حديث صحيح اخرجه البخاري
ومسلم والمراد بالذي قبله البخاري واما العقل فان النوم يحد والقوى
التي قد كلت بالسهر فمتى دفعه الانسان وقت الحاجة اليه اثر في بدنه
وفي عقله فمنعوذ باحد من الجهل فان قال قايل فقد رويتم لنا ان جماعة
من السلف كانوا يحيون الليل فالجواب اولئك تدرجوا حتى قدروا
على ذلك وكانوا على ثقة من حفظ صلوة الفجر في جماعة وكانوا يستعينون
بالقايلة قلة الطعام فصح لهم ذلك ثم لم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سهر ليلة لم ينم فيها فسنته هي متبوعة فصل وقد يلبس ابليس
على جماعة من قوام الليل فتحدثوا بذلك في النهار فربما قال احدهم فلان
المؤذن اذن بوقت ليعلم الناس انه كان منتبها واقل ما في هذا ان فاتهم
من الربا ان ينقل من ديوان العلانية فيقل الثواب فصل وقد يلبس
على آخرين انفردوا في المساجد للصلوة والتعبد فعرفوا بذلك واجتمع
اليهم ناس فصلوا بصلاتهم وشاع بين الناس حالهم وذلك من وساوس
ابليس وبه تقوى النفس على التعبد لعلمها ان ذلك يشيع ويوجب المدح
والحديث عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان افضل
صلوة المرء في بيته الا الصلوة المكتوبة اخرجاه في الصحيحين وكان عامر بن
قيس يكره ان يروه يصلي وكان يتنفل في المسجد وكان يصلي كل يوم

الف ركعة وكان ابن ابي ليلى اذا صلى فدخل عليه داخل اضطجع فصل وقد
يلبس على قوم من المتعبدين فكانوا لا يكون والناس حولهم وهذا قد يقع عليه
فلا يمكن دفعه فمن قدر على ستره فاظهره فقد تعرض للرياء وباسنا وعن
عاصم قال كان ابو وايل اذا صلى في بيته ينشج ولو جعلت له الدنيا على ان
يفعله واحد يراه ما فعله وقد كان ايوب السجستاني اذا غلبه البكاء قام
فصل وقد يلبس على جماعة من المتعبدين فتراهم يصلون الليل والنهار و
لا ينظرون في اصلاح عيب باطن ولا ينعم النظر في ذلك كان اولى لهم من
كثرة التنفل

ذكر تلبيسه عليهم في تلاوة القرآن

قد يلبس على قوم بكثرة التلاوة فهم يهذون قد هذا من غير ترتيل ولا تثبيت
وهذه حالة ليست بمحمودة وقد روي عن جماعة من السلف انهم كانوا
يقرأون القرآن في يوم او في ركعة وهذا يكون نادرا منهم ومن دام عليه
فانه وان كان جايزا الا ان الترتيل والتثبيت الى العلماء فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يفقه من قرأ القرآن في اقل من ثلث فصل وقد يلبس
ابليس على قوم من القراء فهم يقرأون في منارة المسجد بالليل بالاصوات
المرتفعة المجزئين فيجمعون بين الناس وتنغيمهم من النوم وبين التعرض بالرياء
وفيهم من يقرأ في مسجده وقت الاذان لانه حين اجتماع الناس ومن
اعجب ما رايت منهم ان رجلا كان يصلي بالناس صلاة الصبح يوم الجمعة

ثم يلتفت فيقرأ المعوذتين ويدعو او عاء الختمة يعلم الناس انى قد ختمت
الختمة وما هذه طريقة السلف فان السلف كانوا يستترون عباداتهم كان
عمل ربيع بن الخثيم سرا فربما دخل عليه الداخل وقد نشر المصحف فيغطيه
بثوبه وكان احمد بن حنبل يقرأ القران كثيرا ولا يدرى متى يختم وقد سبق
جملة من تلبيس ابليس على القراء والله اعلم بالصواب

ذكر تلبيسه عليهم فى الصوم

قد يلبس على قوم فحسن لهم الصوم الدايم وذلك جايز اذا افطر الانسان
الايام المحرم صومها الا ان الآفة فيه من وجهين احدهما انه ربما عاد
يضعف القوى فاعجز الانسان على الكسب لعايلته ومنعه من اعفاف زوجته
وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لزوجك عليك
حقا فكم من فرض تضيع بهذا النفل والثانى انه يفوت الفضيلة فانه قد صح
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الصوم صوم داود وكان يصوم يوما
ويفطر يوما وباسناده عن عبد الله بن عمر قال لقينى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال الم احدث انك تقوم الليل وانت الذى تقول
لاقومن الليل ولاصومن النهار قال نعم يا رسول الله قد قلت ذلك قال
فقم ونم وصم وافطر وصم من كل شهر ثلثة ايام تلك مثل صيام الدهر قال
قلت يا رسول الله انى اطيق اكثر من ذلك قال فصم يوما وافطر يوما

وهو

صوم صوم

وهو اعدل الصيام وهو صوم داود عليه السلام قال الى افضل من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك اخرجاه فى الصحيحين فان قال قايل فقد بلغنا عن جماعة من السلف انهم كانوا يرددون الصوم فالجواب انهم قد كانوا يقرأون على الجمع من ذلك ومن القيام بحقوق العايلة ولعل اكثرهم لم يكن له عايلة ولا حاجة الى الكسب ثم فيهم من فعل هذا فى آخر عمره على ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من ذلك يقطع هذا الحديث وقد داوم جماعة من القدماء على الصوم مع خشونة المطعم وقلته فمنهم من ذهب عينه ومنهم من نشف دماغه وهذا تفريط فى حق النفس الواجب وحمل عليها ما لا يطيق به فلا يجوز فصل وقد يشيع من المتعبد انه يصوم الدهر بشياع ذلك فلا يفطر اصلا وان افطر اختفى افطاره ليلا يكسر جاهه وهذا من خفيف الرياء ولو اراد الاخلاص وستر الحال لافطر بين يدى من قد علم انه يصوم ثم عاد الى الصوم ولم يعلم به ومن هم من يخبر بما قد صام فيقول اليوم سنة عشرين سنة ما افطرت وليس عليه ابليس بانك انما تخبر بتقدى بك فاصد اعلم بالمقاصد قال سفيان الثورى ان العبد ليعمل العمل فى السر فلا يزال به الشيطان حتى يحدث به فينقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومنهم من عادته صوم الاثنين والخميس فاذا دعى الى

اطيق

فصل

خفى

باب ٨

طعام قال انا صايم الخميس ولو قال انا صايم كان محبه وانما قوله اليوم الخميس معناه انى اصوم كل خميس وفى هولاء من يرى الناس بعين الاعتقاد لكونه صايما وهم مضطرون وسنهم من يلازم الصوم ولا يبالى على ماذا افطر ولا يتحاشى فى صومه عن غيبته ولا عن نظره ولا عن فضول كلمة وقد قيل اليه ابليس ان صومك يدفع انمك ٥

ذكر تلبيه ابليس فى الحج

قد يسقط الانسان الفرض بالحج مرة ثم يعود ولا عن رضا الوالدين وهذا خطاء وربما خرج وعليه ديون او مظالم وربما خرج بسيرة وربما حج بمال فيه شبهة من يجب ان يتلقى ويقال الحاجى وجمهورهم يضيع فى الطريق فرايض من الطهارة والصلوة يجتمعون حول الكعبة بقلوب دنسة وبواطن غير نقية وابليس براهم صورة الحج فيعرفهم فاما المراد بالحج القرب بالقلوب لا بالابدان وانما يكون ذلك مع القيام بالتقوى وكم من قاصد الى مكة همته عدد حجاته فيقول لى عشرون وقفة وكم من مجاور قد طال مكثه ولم يشرع فى تنقية باطنه وربما كانت همته متعلقة بفتوح يصل اليه ممن كان وربما قال فى اليوم عشرون سنة مجاور وكم قد رايت فى طريق مكة من قاصد الى الحج يضرب رفقاه على الماء ويضايقهم فى الطريق وقد يلبس ابليس على جماعة من القاصدين فهم يضعون الصلوات ويطفقوا اذا باعوا

و

ويظنون ان الحج يدفع عنهم وقد لبس على قوم منهم فابتدعوا في
المناسك ما ليس منها فرايت جماعة يصطنعون في احرامهم فيكشفون
عن كتف واحدة ويبقون في الشمس اياما فينكشط جلودهم وينسلخ
رؤسهم ويتميزون من الناس بذلك وفي افراد البخاري من حديث
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يطوف بالكعبة
بزمام فقطعه وراى رجلا يعود ان ابا خزامة في انفه فقطعها بيده
ثم امره ان يقوده بيده وهذا الحديث يتضمن النهي عن الابتداع
في الدين وان قصد بذلك الطاعة فصل وقد لبس على اقوام
يرون التوكل فخرجوا بلا زاد وظنوا ان هذا هو التوكل وهم على
غاية الخطاء قال رجل للامام احمد بن حنبل اريد ان اخرج الى مكة على
التوكل بغير زاد وقال له احمد فارق عن القافلة قال لا لانهم قال فعلى
حزب الناس توكلت فنسال الله ان يوفقنا

ذكر تلبيس على الغزاة

قد لبس ابليس على خلق كثير فخرجوا الى الجهاد وبينهم المباهاة والريا
ليقال فلان غاز وربما كان المقصود ان يقال شجاع او كان طلب
الغنيمة وانما الاعمال بالنيات وفي الحديث باسناد عن سفين عن
ابي موسى قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

باب ٨

ارايت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فاى ذلك
فى سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل ليكون
كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله اخرجاه فى الصحيحين وباسنادهما عن
ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اول الناس يقضى فيه
يوم القيامة ثلثة رجل استشهد فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال فما
عملت فيها فقال قاتلت فيك حتى قللت قال كذبت ولكنك قاتلت
ليقال هو جرى فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار
ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القران فاتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال
كذبت ما عملت فيها قال تعلمت فيك العلم وعلمته وقرأت القران
فقال كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم فقد قيل وقرأت القران
ليقال هو قارى فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار ورجل
وسع الله عليه فاعطاه من اصناف المال كله فاتى به فعرفه نعمه
فعرفها فقال ما عملت فيها فقال ما تركت من سبيل الله انت تحب ان
ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد
وقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى القى فى النار انفرد باخراجه مسلم
وباسناده مرفوع عن ابى حاتم الرازى قال سمعت عبيدة بن سليمان
يقول كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا
العدو

العدو فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعى الى البراز فخرج اليه
رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله ثم اخر فقتله ثم دعى الى البراز
فخرج اليه رجل فطارده ساعة فطعنه الرجل فقتله فازدحم عليه الناس
فكنت فى من ازدحم فاذا هو ملثم وجهه بكمه فاخذت بطرف كمه فمدده
فاذا هو عبد الله بن المبارك فقال وانت يا ابا عمر ممن نشيع علينا
قال فانظروا رحمكم الله الى هذا السيد المخلص كيف على اخلاصه بروية
الناس له ومدحهم اياه منوب فسه نفسه وقد كان ابراهيم بن ادهم
يقاتل فاذا اغنموا لم يأخذ شيأ يستوفر له الاجر فصل وقد لبس سلى
المجاهد اذا اغنموا فربما اخذ ثم اخذ من الغنماء ما ليس له اخذه فاما ان يكون
قليل العلم فيرى ان اموال الكفار مباحة لمن اخذها ولا يدرى ان
الغلول من المغانم معصية وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قال خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا
ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام والثياب ثم انطلقنا الى الوادى ومع
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد له فلما نزلنا قام عبد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمى بسهم فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له
الشهادة يا رسول الله فقال كلا والذى نفس محمد بيده ان الشملة
لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنايم يوم خيبر لم يصبها المقاسم قال ففزع

الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبت يوم خيبر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار و شراكين من نار فصل وقد
يكون الغازي عالما بالتحريم الا انه يرى الشيء اليسير فلا يصبر عنه وربما
ظن ان جهاده يدفع عنه ما فعل وها هنا بيتين آخر الايمان او العلم و
الحديث باسناد عن هبيرة بن الاشعث عن ابي عبيدة العنبري
قال لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الاقباض من اقبل رجل يجر بعيره
فدفعوا الى صاحب الاقباض فقال الذين معه ما رأينا مثل هذا فقط
ما يعدله ما عندنا ولا نعارفه فقال له هل اخذت منه شيئا فقال اما
والله لولا الله مما اتيكم به فعرفوا ان للرجل شانا فقالوا من انت
فقال لا والله لا اخبركم لتحمدوني ولا غيركم ليغفروا لي ولكني احمد الله
وارضى بثوابه فاتبعوه رجلا حتى انتهى الى اصحابه فسال عنه فاذا هو عامر بن
عبد قيس يتذكر تلبيسه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

وهم قسمان عالم وجاهل فدخول ابليس على العالم من طريقين الاول
التزين بذلك وطلب الذكر والعجب بذلك الفعل والحديث باسناد
عن احمد بن ابي الحواري قال سمعت ابا سليمان يقول سمعت ابا جعفر
يبكي في خطبته يوم الجمعة فاستقبلني الغضب وحضرتني نيته ان اقوم فاعظه
بما اعرف من فعله اذا نزل قال فكرهت ان اقوم الى خليفة فاعظه

د

والناس جلوس يرمقونى بابصارهم فيعرض لما يميز بين قيام مرفى فاقتل
على غير صحيح فجلست وسكت والطريق الثانى الغضب للنفس وربما كان
ابتداء وربما عرض فى حالة الامر بالمعروف لاجل ما يلقى به المنكر من الاهانة
فيقهر خصومته لنفسه كما قال عمر بن عبد العزيز لرجل لولا انى غضبان
لعاقبتك وانما اراد انك اغضبتنى فخفت ان تمتزج العقوبة بشئ من غضب
النفس وهما فصل فاما اذا كان الامر بالمعروف جاهلا فان الشيطان به
يتلاعب به وربما كان افساده فى امره اكثر من اصلاحه لانه ربما نهى عن
شئ جائز بالاجماع وربما كان المنكر ما تاول فيه صاحبه وتبع بعض المذاهب
وربما كسر الباب وتسور الحيطان وضرب اهل المنكر وقد فهم فان اجابوه بكلمة
يعيب عليه صار غضبه لنفسه وربما كشف ما قد امر الشارع بستره وقد
سئل احمد بن حنبل عن القوم يكون سمعهم المنكر فيغطى مثل الطنبور وسكر قال
اذا كان يغطى فلا تكسره وقال فى رواية اخرى اكسره وهذا محمول على انه
يكون يغطى بشئ خفيف يصفه فتبين والاولى على انه لا يتقبض وسئل احمد
عن الرجل يسمع صوت الطبل والمزمار لا يعرف مكانه فقال لا عليك
ما غاب عنك فلا تفتش وربما رفع هذا المنكر الى من يظلمهم
وقد قال احمد بن حنبل ان علمت ان الشيطان يقيم الحد وانا دفع اليه
فصل ومن تلبيس ابليس على المنكر انه اذا انكر جلس فى مجمع يصف

ما فعل وينباهى به ويسب اصحاب المنكر سب الحنق عليهم ويلعنهم ولعل القوم
قد طابوا وربما كانوا اخير امنه لذهم وكره ويتدرج فى ضمن حديثه كشف
عورات المسلمين لانه يعلم من لا يعلم والستر على المسلم واجب مهما امكن
وسمعت عن بعض الجهلة بالانكار انه تهجم على قوم ما يتيقن ما عندهم ويضربهم
الضرب المبرح ويكسر الاوانى وكل ما يوجبه الجهل فاما العالم اذا انكر
فانت منه فى امان وقد كان السلف يتلطفون فى الانكار فراى صلة
بن اشيم رجل تكلم امرأة فقال ان امير اكما ستر نا امد ويا كما
وكان يمر بقوم يلعبون فيقول يا اخوتى ما تقولون فيمن اراد سفرا
فنام طول الليل ولعب طول النهار متى يقطع سفره فمر فانتبه
رجل منهم فقال يا قوم انما بقى لنا هذا فتاب وصحبه فصل واولى
الناس بتلطف فى الانكار على الامراء فيصلح ان يقال لهم ان الله قد
رفعكم فاعرفوا قدر نعمته فان النعم تدوم بالشكر فلا يحسن ان يقابل
بالمعاصى فصل وقد لبس ابليس على بعض المتعبدين فيرى منكرا فلا ينكره
انما يامر وينهى من قد صلح وانا ليس بصالح فكيف آمر غيرى وهذا غلط
لانه يجب عليه ان يامره وينهى ولو كانت تلك المعصية فيه الا انه متى
انكر منتزه عن المنكر اثر انكاره واذا لم يكن منتزها لم يكن انكاره بعمل
فينبغى للمنكر ان ينزه نفسه ليوثر انكاره قال ابن عقيل رايتنا فى زماننا

ابابکر الاقفالی فی ایام القایم اذا انهض لانکار منکر استتبع معه
مشایخ لایاکلون الامن صنعة ایدیهم کابی بکر الخباز شیخ صالح آخر
من اطاعه فی التنور وجماعة مافیهم من یاخذ صدقة ولایدنس
بقبول عطاء صوام النهار قوام اللیل ارباب بکاء فاذا اتبعه
فخلط رده وقال متی لقینا الجیش بخلط انهزم الجیش ٥ ٥ ٥

الباب التاسع فی ذکر تلبیس علی الزهاد

قد یسمع العامی فی ذم الدنیا فی القران المجید والاحادیث فیری
ان النجاة بترکها ومایدری ما الدنیا المذمومة فیلبس علیه
ابلیس بانک لاتنجو فی الاخرة الا بترک الدنیا فیخرج علی وجهه
الی الجبال فیبعد عن الجمعة والجماعة والعلم ویصیر کالوحشی ویخیل الیه
ان هذا هو الزهد الحقیقی کیف لا وقد سمع عن فلان انه هام علی
وجهه وعن فلان انه تعبد فی جبل وربما کانت له عائلة فضاعت
ووالدة فبکت لفراقه وربما لم یعرف ارکان الصلوة کما ینبغی
وربما کانت علیه مظالم لم یخرج منها وانما یتمکن ابلیس علی هذه القلة
علمه ومن جهله رضاه عن نفسه بما یعلم ولو انه وفق بصحبة فقیه
یفهم الحقایق لعرفه ان الدنیا لاتذم لذاتها وکیف یذم ما من الله
تعالی به وهو ضرورة فی بقاء الادمی ومسبب فی اعانته علی تحصیل العلم

من مطعم ومشرب ومسجد يصلي فيه وانما المذموم اخذ الشيء من غير حله
او تناوله على وجه السرف لا على مقدار الحاجة ويصرف النفس فيه
بمقتضى رعونا تها لا باذن الشرع وان الخروج الى الجبال المنهي عنه فان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يبيت الرجل وحده وان التعرض
لترك الجماعة والجمعة خسران لا ربح والبعد عن العلم والعلماء يقوي
سلطان الجهل وفراق الوالد والوالدة في هذا العقوق والعقوق
عن الكبائر واما من يسمع عنه انه خرج الى جبل فاحوالهم يحتمل انهم
لم يكن لهم عيال ولا والد ولا والدة فخرجوا الى مكان يتعبدون فيه
مجتمعين ومن يحتمل حالهم وجها صحيحا فهم على الخطا من كانوا وقد قال بعض
السلف خرجنا الى جبل نتعبد فجاءنا سفيان الثوري فرونا فصل
ومن تلبيسه على الزهاد واعراضهم عن العلم اشتغالا بالزهد فقد استبدلوا
الذي هو ادنى بالذي هو خير وبيان ذلك ان الزهد
لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد وكم قدر والى الصوان
من متعبد فصل ومن تلبيسه عليهم انه يوهمهم ان الزهد ترك المباحات
فمنهم من لا يزيد على خبز الشعير ومنهم من لا يذوق الفاكهة ومنهم من يقلل
المطعم حتى يبس بدنه ويعذب نفسه بلبس الصوف ويمنعها الماء
البارد وما هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا طريق اصحابه

واتباعه

وانباعهم وانما كانوا يجوعون اذا لم يجدوا فاذا وجدوا اكلوا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياكل اللحم ويحبه وياكل الدجاج ويحب الحلوا
ويستعذب له الماء ويختار الماء النابت فان الماء الجاري يؤذي
المعدة ولا يروي وقد قال رجل يقول انا لا اكل الخبيص لاني لا اقوم
بشكره فقال الحسن هذا رجل احمق وهل يقوم بشكر الماء البارد وقد
كان سفيان الثوري اذا سافر حمل في سفرته السمك المشوي والفالوذج
وينبغي للانسان ان يعلم ان نفسه مطيته ولا بد من الرفق بها ليصل بها
الى المقصود فليأخذ ما يصلحها وليترك ما يؤذيها من الشبع والافراط
في اول الشهوات فان ذلك يؤذي البدن والدين ثم ان الناس
يختلفون في طباعهم فان الاعراب اذا لبسوا الصوف واقتصروا
على شرب اللبن لم تلمهم لان مطايا ابدانهم تحمل ذلك واهل السواد
اذا لبسوا الصوف واكلوا الكوامخ لم تلمهم ايضا ولا يقول في هؤلاء
من قد حمل على نفسه لان هذه القوم فاما اذا كان البدن مترفا
قد نشأ على النعم فانا منهى صاحبه ان يحمل عليه ما يؤذيه فان تنزه
وآثر ترك الشهوات اما لان الحلال لا يحتمل الرق او لان الطعام
اللذيذ يوجب كثرة التناول فكثرة النوم والكسل فهذا يحتاج الى
ان يعلم ما يضر تركه وما لا يضر واخذ قدر القوام من غير ان يؤذي النفس

وقد ظن اقوام ان الخبز الفقار يكفي في قوام البدن ولو كفى الا ان
الاقتصار يوذي من جهة ان اخلاط البدن يفتقر الى الحامض والحلو
والحار والبارد والمسك والسهل وقد جعل في الطباع ميل الى الملايم
فتاره يميل الى الحامض وتارة يميل الى الحلو ولذالك اسباب
مثل ان يقل عندها البلغم الذي لابد في قوامها منه فيشتاق اللبن و
وتكثر عندها الصفر فيميل الى الحموضة فمن كفها عن التصرف على مقتضى
ما وضع في طبعها مما يصلحها فقد اذاها الا ان يكفها عن الشبع والشره
ومما يخاف عاقبته فان ذلك تفسدها فاما الكف المطلق فخطأ
فافهم هذا ولا ملتفت الى قول الحارث المحاسبي وابي طالب المكي
فيما ذكر من تقليل المطعم ومجاهدة النفس بتبرك مباهاتها فان
اتباع الشارع وصحابته اولى وكان ابن عقيل يقول ما اعجب في
الدهر من اما اهواء متبعة او رهبانية مبتدعة بين تحرير اذيال المرح
والصبي في اللعب وبين اهمال الحقوق واطراح العيال واللحوق
بزوايا المسجد فهل اعتمدوا على عقل وشرع فصل ومن تلبيسه عليهم
انه يوهمهم ان الزهد هو القناعة بالدون من المطعم والملبس فحسب
فهم يقنعون بذلك وقلوبهم راغبة في الرياسة وطلب الجاه فتراهم
يتربصون لزيارة الامراء اياهم ويكرمون الاغنياء دون الفقراء

ويتخاشعون عند لقاء الناس كانهم قد خرجوا من ملتاهذه ربما رؤى احدهم
المال ليلا يقال قد بدا له من الزهد وهم من يرد اليهم وتقبيل ايديهم في اوسعهم
باب من ولايات الدنيا لان غاية الدنيا الرياسة فصل واكثر ما تلتبس به
ابليس على العباد والزهاد خفي الريا فاما الظاهر من الرياء فلا يدخل في
التلبيس مثل اظهار الخول او صفار الوجه وشعث الشعر ليستدل به
على الزهد وكذلك خفض الصوت لاظهار الخشوع وكذلك الرياء
بالصلوة والصدقة ومثل هذه الظواهر لا يخفى وانما يشير الى خفي الرياء
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ومتى لم يرد
بالعمل وجه الله عز وجل لم يقبل قال مالك ابن دينار قولوا لمن لم يكن صادقا
لا يتعب واعلم ان المؤمنين لا يريد بعمله الا الله سبحانه وتعالى وانما يدخل
عليه خفي الرياء فيلتبس الامر فنجاته منه صعبة في الحديث مرفوعا عن يسار
قال قال لي يوسف بن اسباط تعلموا صحة العمل من سقمه فاني تعلمته
في اثنين وعشرين سنة وفي الحديث مرفوعا عن ابراهيم بن ادهم يقول
تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت
له يا سمعان منذكم انت في صومعتك هذه قال منذ سبعين قلت ما طعامك
قال يا ضيفي مالك الى هذا اقلت ان اعلم قال في كل ليلة خمصة قلت
فما الذي يهيج من قلبك حتى يكفيك هذه الخمصة قال ترى الذين يجذابك

* الخطيب قال سمعت يقول سمعت ابن الوليد يقول سمعت ابراهيم

قلت نعم قال انهم يأتوني في كل سنة يوماً واحداً فيزينون صومعتي و
يطوفون حولها ويعظمونني بذلك فكلما تناقلت نفسي عن العبادة
ذكرتها عن تلك الساعة فلا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا خيفي جهد
ساعة لعز الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال ازيدك قلت نعم قال انزل
عن الصومعة فنزلت فاومى الى ركوة فيها عشرين خمصة فقال لي ادخل
الدير فقدروا ما اوليت اليك فلما دخلت اجتمعت النصارى فقالوا
يا خيفي ما الذي اولى اليك يا شيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به
نحن احق به منك فساومتهم قلت عشرين دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت
الى الشيخ فقال اخطأت لو ساومتهم عشرين الفا لاعطوك هذا عز من
لا تعبد فانظر فكيف يكون بعز من يعبده يا خيفي اقبل على ربك
وخوف الرياء ستر الصالحون اعمالهم حذرا عليها وكان محمد بن
سيرين يضحك بالنهار ويبكي بالليل وكان في ذيل ايوب السجستاني
بعض الطول وكان ابن اوهم اذا مرض يترك عنده ما يأكله الا سماء و
باسنادنا عن عبد الله بن المبارك عن بكار بن عبد الله انه سمع وهب
بن منبه يقول كان رجل من افضل اهل زمانه وكان يزار فيعظم فاجتمعوا
اليه ذات يوم فقال انا قد خرجنا من الدنيا وفارقنا الاهل والاموال مخافة
الطغيان اكثر مما يدخل وقد حصت ان يكون قد دخل علينا في هذه حالنا من

الطغيان اكثر مما يدخل على اهل الاموال فى اموالهم اذا ما يحب احدنا ان يقضى له حاجته وان اشترى بعدان تقارب لمكان دينه وان نفى جنبه ودفر لمكان دينه فشاع ذلك الكلام حتى بلغ الملك فعجب وكتب اليه يسلم عليه وينظر اليه فلما راه الرجل قيل له هذا الملك قد اتاك يسلم عليك فقال وما يصنع فقال للكلام الذى وعظت به فسال غلامه هل عندك طعام فقال شئى من ثمر الشجر ما كنت تفطر به واتى على شيخ فوضع بين يديه فاخذ ياكل منه وكان يصوم النهار ولا يفطر فوقف عليه الملك فسلم عليه فاجابه خفيفة واقبل على طعامه ياكله فقال الملك فاين الرجل قيل له هو هذا قال هذا الذى ياكل قالوا نعم قال فما عند هذا من خير فادبر فقال الرجل الحمد لله الذى صرف عنى بحاضر فك به وفى رواية اخرى عن وهب بن منبه انه لما اقبل الملك قدم الرجل طعامه فجعل يجمع البقول فى اللقمة الكبيرة ويغمسها فى الزيت فياكل اكلا نيقا فقال له الملك كيف انت يا فلان فقال كالناس فرد الملك عنان دابته وقال ما فى هذا من خير فقال الحمد لله الذى اذهب عنى وهو لايم لى وباسناد عن عطار قال اراد الوليد بن عبد الملك ان يولى يزيد بن مرثد فبلغ ذلك يزيد فلبس فروة فجعل الجلد على ظهره والصوف خارجا واخذ بيده رغيفا وعرقا وخرج بلا رداء ولا قلنسوة ولا نعل

ولا خف وجعل يمشي في الاسواق ويأكل فقيل للوليد ان يزيد قد اختلط
واخبر بما فعل فتركه فصل ومن الزهاد من يستعمل الزهد ظاهرا وباطنا
لكنه قد علم انه لا بد ان يتحدث بتركه للدنيا اصحابه وزوجته فهون عليه
الصبر كما هان على الراهب الذي ذكرنا قصته مع ابراهيم بن ادهم ولو انه
اراد الاخلاص في زهده لاكل مع اهله قدر ما تمشي وينمحي به جاه النفس و
ينقطع الحديث فقد كان داؤد بن ابي هند صام عشرين سنة ولم يعلم
اهله كان يأخذ غداءه ويخرج الى السوق فيتصدق به في الطريق فاهل
السوق يظنون قد اكل في البيت واهل البيت يظنون انه قد اكل في
السوق هكذا كان الناس فصل ومن المتزهدين من قوته الانقطاع في
مسجد او رباط او جبل فلذته علم الناس بانفراده وربما احتج لانقطاعه
باني اخاف ان ارى في خروجي المنكرات وله في ذلك مقاصد منها
الكبر واحتقار الناس ومنها انه يخاف ان يقصروا في خدمته ومنها
حفظ ناموسه ورياسته فان مخالطة الناس تذهب ذلك وهو
يريد ان يبقى طراوة ذكره وربما كان مقصوده ستر عيوبه ومغائبه وجهله
بالعلم فيريد هذا ويحب ان يزاروا ولا يزوروا ويفرح بمجيء الامراء اليه
واجتماع العوام على بابه وتقبيلهم يده فهو ترك عيادة المرضى و
شهود الجنائز ويقول اصحابه اعذروا الشيخ فهذه عادته يخالف

الزهاد

الشرع ولو احتاج هذا الشخص الى القوت ولم يكن عنده من يشتري له
صبر على الجوع لئلا يخرج بنفسه لشراء ذلك فتضيع جاهه وعشيرته بين العوام
ولو خرج فاشترى حاجته ويحملها بنفسه وكان ابو بكر يحمل الثياب
على كتفه فيبيع ويشتري والحديث باسناده عن محمد بن القسم قال رأيت
عبد الله بن حنظلة قال عبد الله بن سلام وعلى راسه حزمة حطب فقال
له ناس ما يحملك على هذا وقد اغناك قال اردت ان ادفع به الكبر
وذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة
عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر فصل وهذا الذي ذكرته من الخروج
لشراء الحاجة ونحوها من التبذل كان عادة السلف القدماء وقد
تغيرت تلك العادة كما تغيرت الملابس والاحوال فلا ادري للعالم
اليوم ان يخرج لشراء حاجته لان ذلك يكشف نور العلم عند الجهلة
وتعظيمه عند شروع ومراعاة قلوبهم ومثل هذا لا يخرج الى الرياء
واستعمال ما يوجب الهيبة في القلوب لا بد منه وليس كل ما كان
في السلف مما لا يتغير به قلوب الناس يومئذ ينبغي ان يفعل اليوم
قال الاوزاعي كنا نضحك ونمزح فاذ اصرنا مقتدى بنا فلا ادري
ذلك يسعنا وقد روينا عن ابراهيم بن ادهم ان اصحابه كانوا يوما
يتمازحون فدق رجل الباب فامرهم بالسكوت والسكون فقالوا اتعلمنا الرياء

فقال انی اکره ان یعصی فیکم وانما اخاف قول الجهلة انظروا الی هولاء
الزهاد کیف یفعلون وذلک ان العوام لا یحتملون هذا للمتعبدین
فصل ومن هولاء قوم لو سئل احدهم ان یلبس الین من ثوبه ما فعل لیلا
یتوکس جاهه فی الزهد ولو خرج لم یاکل والناس یرونه ویحفظ نفسه
فی التبسم فضلا عن الضحک ویوهمه ابلیس ان هذا لاصلاح الخلق وانما هو
ریاء یحفظ به قانون الناموس فتراه مطاطا الراس علیه انار الخمول
فاذا خلا رایته لیث شری فصل وقد کان السلف یمنعون عنهم کلما
یوجب الاشارة الیهم ویهربون من المکان الذی ینشاعر الیهم فیه
والحدیث باسناده عن یوسف بن اسباط قال خرجت مع شیخ راجلا
حتی اتیت المصیصة وجرابی علی عنقی فقام فاسن جانوته یسلم علی فوق اسلم
فطرحت جرابی ودخلت المسجد اصلی رکعتین واخذ قرابی واطلع رجل
فی وجهی فقلت فی نفسی کم بقا قلبی علی هذا واخذت جرابی ورجعت
معترفی وعنابی الی شیخ فما رجع الی قلبی سنتین فصل ومن الزهاد من یلبس
الثوب المخرق فلا یخیط ویترک اصلاح اصلاح عمامته وتسریح لحیته
لیری انه ما عنده من الدنیا خبر وهذه من ابواب الریاء فان کان
صادقا فی اعراضه عن اغراضه کما قیل لداؤد الطائی الا تسرح لحیتک
فقال انی عنها لمشغول فلیعلم انه سلک به غیر الجادة لیست هذه طریقة

الرسول

الرسول ولا اصحابه فانه كان يسرح شعره وينظر في المرآة ويدهن تطيبا وهو اشغل الخلق بالآخرة وكان ابو بكر وعمر يخضبان باللحناء والكتم وهما اخوف الصحابة وانهدهم ومن ادعى رتبة يزيد على السنة وافعال الاكابر لم يلتفت اليه فصل ومن الزهاد من يلزم الصمت الدايم وينفر عن مخالطة اهله فيموت فيهم بقبح اخلاقه وزيادة انقباضه وينسى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لاهلك عليك حقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويلاعب الاطفال ويحدث ازواجه ويسابق عايشة الى غير ذلك في الاخلاق اللطيفة فهذا المتزهد الجاهل بالآثار وولده كاليتيم لانفراده عنهم وقبح اخلاقه لانه يرى ان ذلك يشغله عن الآخرة ولا يدري لقلة علمه ان الانبساط الى الاهل من العون الى الآخرة وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر هلا تزوجت بكرا تداعبها وتداعبك وربما غلب على هذا التخفف فيترك مضاجعة لزوجته فيضع فرضا بلا فايدة غير محمودة فصل ومن الزهاد من يرى عمله فيعجبه فلو قيل له انت من اوتاد الارض ظن ذلك حقا ومنهم من يترصد ظهور كرامته ويخيل اليه انه لو قرب من الماء قدر ان يمشي عليه فاذا عرض له امر قد عافاه لم يجب قد مر في باطنه فكانه اجير يطلب اجر عمله ولو رزق الفهم لعلم انه عبد مملوك والمملوك لا يمن بعمله ولو نظر

الى توفيقه للعمل لراى وجوب الشكر فخاف من التقصير فيه وقد كان
ينبغى ان يشتغل خوفه على العمل من التقصير فيه عن النظر اليه كما كانت رابعة
تقول استغفر الله من قلة صدقى فى قولى استغفر الله وقيل لها عملت
عملا ترين انه يقبل منك فقالت ان كان لأخافنى ان يرد على فضل
ومن تلبيس ابليس على قومه من الزهاد والذى دخل عليهم من قلة العلم ان
يعملون بواقعاتهم ولا يلتفتوا الى قول الفقيه قال ابن عقيل كان ابو اسحق
الخراز صالحا وهو اول من لقبنى كتاب الله وكان من عادته الامساك
عن الكلام فى شهر رمضان فكان يخاطب باى القران فيما يعرض له من
الحوايج فيقول فى اذنه ادخلوا عليهم الباب ويقول لابنه فى غشية الصوم
من بقلها وقثائها آمر اله ان يشترى البقل فقلت له هذا يعتقده
هذا هلاوه وهو معصية فصعب علية فقلت ان هذا القران العزيز نزل
فى بيان احكام الشريعة فلا تستعمل فى اغراض دنيا وية وما هذا الا بمنابة
ترك السدر والاشنان فى ورق المصحف او سدك وله فخجل لى
ولم يصنع الى الحجة قلت وقد يسمع الزاهد القليل العلم من العوام شيئا
فيفتى به حدثنى ابو حكيم ابراهيم بن دينار الفقيه ان رجلا استفتاه
فقال ما تقول فى امراة طلقت ثلثا فولدت ذكرا هل يحل لزوجها قال
فقلت لا وكان عندى الشريف الرخانى وكان مشهورا بالزهد عظيم القدر

من العوام فقال لى بل تحل فقلت ما قال هذا احد فقال والله لقد افتيت بهذا
من ههنا الى البصرة قلت ما يصنع الجهل باهله ويضاف اليه حفظ الجاه خوفا
ان يرى بغير الجهل فصل وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته
بكثير من العلم ان يفتى لانه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتهدين
اليوم فى الفتاوى بالواقعات والحديث باسناد عن حرب بن اسمعيل بن
شعبة قال دخلت على احمد بن حنبل وقد قدم احمد بن حرب من مكة ؛
فقال لى احمد من هذا الخراسانى الذى قد قدم قلت من زهده كذا وكذا
ومن ورعه كذا وكذا فقال لا ينبغى لمن يدعى ما يدعيه ان يدخل نفسه
فى القضاء فصل ومن تلبيسه على الزهاد واحتقارهم العلماء وذمهم
اياهم فهم يقولون المقصود العمل ولا يفهمون اهل العلم عمل القلوب ولو عرفوا
مرتبة العلماء فى حفظ الشريعة فانها مرتبة الانبياء لعدوا انفسهم كالبكم
عند الفصحاء والعمى عند البصراء والعلماء اولة الطريق والخلق وراءهم
وسلم هولاء لا يمشى وحده وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه والله
لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فصل ؛
وما يعيبون به العلماء فى بعض العلماء المباحات التى يقوتون بها على
دراسة العلم وكذلك يعيبون جامع المال ولو فهموا معنى المباح